

## تصرف الحكومة فى الغارات الأخيرة

### يشدد العزائم ويقوى الروح المعنوية

عادت ويلات الحرب تصيب المصريين كما تصيب أمم العالم المحاربة والمسألة فى هذه الأيام ، بعد انقطاع الغارات الجوية فى خلال فصل الشتاء ، وإصابة المدنيين بهذا الجحيم وحشية لا شك فيها ، ولكن لم يعد يحدى أن ننتع المغيرين بالوحشية أو بما هو أشد منها ، فالجرب الحاضرة هى حرب وحشية وفناء ، وعلينا أن نواجه الحقائق الواقعة ولا نتشبث بأوهام وأحلام .

إن كل ما كسبته الإنسانية فى عشرات الألوف من السنين ، من فضائل ومبادئ ومثل ، تخسره فى هذه السنوات . ولولا أنها تخسره وتتحدر عنه لما أصبحت الغارات على المدنيين عملاً هيناً يرتكبه المغيرون فى جميع بقاع الدنيا وضمانهم مستريحة ونفوسهم راضية بهذا العمل الشنيع الذى تقشعر منه الأبدان .

يجب إذن أن تنصرف هممتنا إلى مواجهة الغارات وإلى الاحتياط لها ، فلا نعتد على المبادئ الإنسانية التى تحرم ضرب المدنيين ، ولا نتكل على أننا أمة مسالمة لم تعلن حرباً على أحد فهى لا تنتظر من أحد الاعتداء عليها ، فالتشبث بهذه الأوهام يضرنا ولا يفيدنا شيئاً ويعرضنا لأشد الكوارث المفاجئة دون استعداد ولا احتياط .

إن المحاربين اليوم لا يراعون فى خططهم أن هذه أمة مسالمة أو غير مسالمة ، ولكن يراعون فقط مصلحة خطتهم الحربية ، وحين تقتضى هذه الخطة عملاً ما فهم مقدمون عليه دون أية ملاحظة لمبدأ من المبادئ الإنسانية أو لأية حقيقة من الحقائق المنطقية . وعندهم أن هذه المبادئ والحقائق بقية من عقلية قديمة لا تصح للعهد الجديد !

وقد وقعت فى شهر أبريل بعض الغارات على مصر وبخاصة مدينة الإسكندرية ، فكان تصرف السلطات المسؤولة بعد هذه الغارات مباشرة تصرفاً يشدد العزائم ويقوى الروح المعنوية ويبعث إلى النفوس الثقة والطمأنينة على قدر الإمكان ، واتضح أن نظام الوقاية فى البلاد قد نضج أو كاد ، وأنه استكمل ما كان ينقصه عندما وقعت الغارات فى العام الماضى .

ويمحس أن تشير إلى النقط البارزة فى هذا التصرف المحمود ، وتبين أثرها فى خلق جو من الطمأنينة والثقة والارتياح .

أول ما تجب الإشارة إليه هو إعطاء البيانات كاملة صحيحة عن عدد المصبيين وحقيقة الخسائر المادية فقد أصدرت السلطات في أول الأمر بلاغا مبدئيا قدرت فيه القتلى والجرحى بحسب ما انتهى إليه علمها ساعة صدور البلاغ ، ثم أتبعته ببلاغ آخر في المساء ذكرت فيه أن المعلومات الأخيرة تفيد أن عدد المصبيين أكبر بكثير مما نشر ، واعدت نشر عددهم الأخير .

هذا التصرف من أحكم التصرفات ، فالواقع أن شعور الجماهير بأن السلطات تعرض عليه الحقائق كاملة يوضع حدا للإشاعات الكثيرة التي تعتمد على الخيال والمبالغات ، وقد كانت هذه الإشاعات تنتشر في الماضي عقب كل غارة أو إنذار بغارة ، وكانت تجد لها مصدقين مهما تجاوزت الحد في الإغراب والمبالغة ، ولكنها في هذه المرة لم تجد نصيب من الرواج ، فما كاد الناس يقرأون البلاغ الثاني حتى اطمأنوا ووتقوا بصحة المعلومات الرسمية ، ولم يلجئوا إلى إعمال الخيال والركون إلى الإشاعات .

وقد كانت الغلظة التي ترتكب في الماضي هي غلظة الخوف من الجمهور وتعمية الحقائق عليه في مثل هذه الشؤون ، فانتزع الآن أن الجمهور ليس خطرا ، وأن عمه بالحقائق — مهما تكن فادحة — خير من تعميته عليه . وتركه للإشاعات والأقاويل . وقد اثبتت السمات الإنجليزية من قبل هذه الخطة الحكيمة في بلادها ، فكانت خطب تشرشل وتصريحاته عن الخسائر والكوارث مثار الإعجاب والحماسة في نفوس البريطان وغيرهم ممن كانوا يصون في هذه الخطب والتصريحات معنى الرجولة وقوة الثقة وجمال الصراحة .

فالآن وقد جربت السلطات المصرية هذه الخطة فأحدثت عليها وعلى جمهور يجب أن تحافظ عليها في كل ما يعهد من كوارث هذه الحرب التي تصطبها البشرية كلها ومصر أخفها نصيبا وأشدّها سلاما . وعلى الجمهور بإزاء هذه الصراحة أن يعرض عن مروجي الإشاعات وأن يطمئن إلى بلاغات الحكومة ، وأن يثق بسمعه وقه عن ترويح الأقوال المغرضة التي يقصد منها مروجوها نشر القلق والندعر في أنحاء البلاد .

والنصرف الثاني هو سرعة عمليات الإنقاذ . بالقياس إلى ما حدث في الغارات الماضية ، فله تمض أربع وعشرون ساعة حتى تمت أعمال الإنقاذ ورفع الألقاض ، بينما استغرقت هذه العملية فيما مضى أكثر من ثلاثة أيام .

ومرجع هذا في الغالب إلى وفاء الاستعداد في هذه الفترة وحسن المراتبة ، وإن كان الأمر في هذا قابلا للتحسين ولزيادة من السرعة ومن الإتقان ، فالغارات العنيفة على إنجلترا وعلى ألمانيا لا تستغرق أعمال الإنقاذ فيها زمنا أطول من الزمن الذي استغرقه غارتا انقصيرة الخفيفة . والقياس مع الفارق بطبيعة الحال ، ولكن أرواح الآدميين غالية في كل

مكان ، فيجب ألا يندرجهد ولا مال ولا حبرة للحفاظ عليها ، وفي التوسع زيادة المرانة وزيادة الاستعداد ، مع الاعتراف بالتقدم الملحوظ والسرعة الظاهرة في أعمال الإنقاذ الأخيرة .

وندع هذا لننظر في تصرف ثالث يستحق التنويه حقيقة وهو سرعة مساعدة المصابين وسرعة تعويض المنكوبين . فهذه نقطة بارزة في تصرف السلطات في هذه المرة ، فلم يمض يومان حتى كان كل مصاب حتى قد تناول جنينين يستعين بها على مطالبه السريعة ، وحتى كانت كل أسرة منكوبة في عائلها أو في مورد رزقها قد نظر في صرف التعويض الوافي لها لتواجه به المحنة الجديدة .

ويكفي في بيان قيمة هذا العمل أن نذكر أن بعض التعويضات عن عارات النعام الماصي لم تكن صرفت حتى اليوم بسبب بطء الإجراءات وتعقدها ، بل نخشى أن تقول بسبب بلادة الشعور الإنساني الذي لا يتأثر مثل هذه المصائب التي أصابت المواطنين من قبل فظلوا تحت رحمة الإجراءات البطيئة نحو عام !

إن هؤلاء الذين ينكبون في عائلهم أو في مورد رزقهم يتعرضون للتشرد والمذلة والكوارث المهيبة بعدما أصابهم من الكوارث العائلية والمادية . فلا يقتصر الأمر عليهم ، ولكنهم يبرزون مثلاً حياً أمام المواطنين الآخرين . مثلاً مفزعاً يزيدهم خوفاً من الغازات وكوارثها التي تشرد الناس فلا يجدون من يغيثهم ، وهذا ينشر الذعر والفرع في صفوف من لم يصابوا ويدهم يتوقعون الشر في كل لحظة . وهو شر مرعب لا يتماكون أعصابهم لمواجهة وهم يرون آثاره في سواهم ممن كانوا مثلهم أو أغنى منهم فباتوا بلا مأوى ولا معين .

فسرعة إسعاف المصابين وتعويض المنكوبين جدية أن تخفف وقع المصائب عليهم وأن تبث الطمأنينة في نفوس سواهم ، وترفع قوتهم المهنية وتكسب قلوبهم الاتزان في مواجهة الأحداث . وحقيقة إن التعويض المادي لا يرد على العائلات والأفراد أعزاءهم الذين فارقوا الحياة ، ولكنه يساعدهم على مواجهة الحياة بعدة من المال وعلى اتقاء التشرد والفصيحة . وليس هذا بالقليل الأثر في نفوس المصابين والمعرضين للإصابة .

ثم إن هناك معنى لسرعة الإسعاف والتعويض وهو معنى التضامن الوطني والاجتماعي الذي قامت به الحكومة نيابة عن الأمة ، والشعور بالتضامن بين المصابين والناجين مما يخفف وقع المصائب من جهة ويوقظ لوطنية في النفوس من جهة أخرى ، فيحس المصابون أن لهم وطناً يرعاهم ويخفف ألي نجاتهم ، فعليهم إذن أن يعروه وأن يخففوا ألي نجاته ؛ ومن بمصنعة الأمة وفي خلال الأزمات خاصة أن يقوى هذا الشعور النبيل في نفوس الجميع .

ومما يزيد هذا المعنى وضوحاً تعرض بعض المتبرعين بأموالهم ، وهذه التبرعات قليلة ولا ريب ، وتلك هي ناحية القصد البارزة في المجتمع المصري ، ويجب أن نبه إليها هنا ، ففي مصر كثيرون ممن أعم الله عليهم بالمسأل ووقاهم كوارث العارات ، ولا ينقص ثروتهم في شيء أن يتبرعوا بالأثواب والمئات أو بالعثرات ، والكوارث العارضة التي قد تصيب في الغد من نجوى منها اليوم مجال مناسب للتبرع والإشعار لآخري أن هناك تضامناً اجتماعياً بين أهل الوطن الواحد ، ولهذا الشعور من زيادة الوطنية والاجتماعية ، فوق ما فيه من معان إنسانية تشتري بقليل من المال !

وقد شاءت جلالته للملكة أن تشمل برعايتها تسامية هؤلاء المنكوبين فكان هذا اعطف السامى كبير الدلالة على حكمة هذا التوجيه الذى تأمل أن ينتبه إليه القادرون .

والتصرف اذراع الجديد هو إخلاء بعض مناطق الاسكندرية من السكان . فعلاوة على ما في هذا التصرف من حقن لدماء السكان في هذه المناطق وعدم تعريضهم للأخطار المرجحة ، فهو يقوى الثقة في نفوس سكان المناطق الأخرى ويشعرهم بالأطمئنان الى أنهم في مأمن نسبي ، وأن السلطات ساهرة عليهم وستقوم بترحيلهم حين تجدد الخطر شديداً على مناطقهم .

وليس المقصود أن يعتمدوا على هذا الأمان ، فم بعد في الدنيا الآن أمان ، ولكن المقصود منه ألا يستسلموا للفرع وألا تتجمم الأوهام في نفوسهم بسبب الرعب ، وأن يتصرفوا ساعة الإنذار بالفارعة تصرف المالك لأعبائه ، المؤمل في النجاة من الإصابة ، فليس أصعب من فقدان هذا الأمل ومن الفرع الذى يفقد المقزوع صواب التصرف .

ثم إن الإخلاء المنظم لبعض المناطق يبق للمهاجرين تلك القوضى التي قاسوا آثارها في انعام الماضي حينما خرجوا يهرولون من البيوت هائمين على وجوههم في الطرقات ، فدعر يشبه الجنون ، فتكدسوا بالأثواب على أرصفة المحطات وفي الطرقات المؤدية إلى داخنية البلاد ، حتى لقد ذهلت الأمهات عن أطفالهن وترك الأخ أحاه والزوج زوجته والابن أباه وهام الجميع على وجوههم إلى أن وصل كل منهم إلى حيث ألقى به القطار أو حيث ساقته قدماه .

وبعد أن ذهبت اسكرة وجدوا أنفسهم مشردين لا مأوى لهم يبيتون فيه ولا تقود معهم يعيشون بها ، فتمرض بعضهم للوجع وبعضهم للمرض كما تعرضت الكثيرات من الحرائر لفضائح خلقية ستغلبن فيها شذاذ لآفاق وتجار الأعراض .

هذه ذكريات أئمة يجب أن يذكرها من يأخذهم هول الغارات فينسون أنفسهم ويهيمنون على وجوههم . ويجب أن تذكرها السلطات فلا تقع في غنطة الهجرة المباحة بلا ترتيب سابق ولا تديرو . فقليل أن تسمح لأحد بأهجرة من لأما كن المعرضة للخطر يجب أن تكون قد

أعدت لهم المهاجر المنظمة التي يستطيعون فيها الحياة ، وأن تكون قد اتخذت من الوسائل الصحية والمعاشية ما يكفل عدم انتشار الأمراض والأوبئة . وعدم التعرض لنقص التغذية وقدراتها ، وعدم استغلال المستغلين للمهاجرين المساكين .

لقد وقعت في هجرة لعام الماضي كوارث يندى لها الجبين ، ومما ينجل أن بعض القائمين على شؤون المهاجرين في اقصى كانوا يبيعونهم ويقترون عليهم ويذيقونهم انذل والحرمان ليستغلوا هذا كله في مصنحتهم بخقارة وخيانة للوطن ولإنسانية ، ويجب ألا تتكرر هذه المأسى بعد الآن .

وبهذه المناسبة نذكر حكمة التفكير التي أعادت وزارة الوقاية بعد إنعائها ، فالحوادث بالمرصاد ، ولا يدري أحد كيف تصير الأمور ، والعالم كله يكتوى بنار الحرب وولاياتها ، وعلى الجميع أن يأخذوا حذرهم وأن يبذلوا جهدهم ، وألا يستكثروا الانفاق على وقاية الأرواح ، فهذا أوان الانفاق وأوان الاحتياط . وشعور الناس بأن وسائل الوقاية كافية وأن السلطات كذلك ساهرة ، هو الضمان الوحيد لحسن تصرفهم في أوقات الشدة ولتماسك قواهم في لحظة النكبة .

وقد بلغت النفقات المرصدة للوقاية في ميزانية هذا العام نحو مليوني جنيه وهذا يدل على تقدير الاحتياطات الوقائية قدرها الصحيح .

وعلينا أن نتبع طريق الصراحة التي اتبعناها ، فلا تقلل من احتمال الأخطار ولا نبالغ كذلك في الخوف منها ، وحسن الحظ أن الشعب المصري شعب متدين شعاره " قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا " فإذا كان هذا هو شعار الجماهير ، فيمكن شعار السلطات " اعقنها وتوكل " . وإن كان هذا لا يعنى كل فرد من اتحاد العدة ومن الاحتياط الذي لا يعصر من القدر ولكن يوجد الطمأنينة ويثبت القلوب .